بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

المُقَدِّمَة

الحَمدُ للهِ الَّذي تَنَزَّهَ عن الشَّبِيهِ، وَجَلَّ عَنِ التَّشبِيهِ، تَفَرَّدَ بِالإنْعَامِ والرِّعَايَةِ، فَوَجَبَ شُكرُهُ صَرِيحاً لا كِنَايَةً، وامتَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِمَعرِفَةِ أَسرَارِ كِتَابِهِ، وَالكَشفِ عَن مَكنُونِ فَضلِ خِطَابِهِ، وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهِ وَوُجُوهِ إِعرَابِهِ، وَصَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَى خَاتَمِ أَنبِيائِهِ وَخَيرِ أَحبَابِهِ، أفصَحِ الخَلقِ لِسَاناً، وأحسَنِهِم بَيَاناً، حَبَاهُ رَبُّهُ بِالمَثَانِي، مُعجِزَةِ الأَلفَاظِ وَالمَعَانِي، فَعَلَيهِ مِنَ اللهِ بَدِيعُ صَلَوَاتِهِ وسَلامِهِ، مُطَابَقَةً لِجَمَالِ ذَاتِهِ، وَتَكمِيلاً لِشَرَفِ صِفَاتِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ، أطوَادِ العِلمِ الرَّاسِخَةِ، وَمَثَاقِيلِ الحِكَمِ الرَّاجِحَةِ، إِنَّه جوادٌ مُنعِمٌ لطيفٌ كَرِيمٌ.

أمَّا بَعْدُ:

فاعلمْ-علَّمَكَ اللهُ الخيرَ، ودلَّكَ عليه، وقَيَّضَهُ لَكَ، وجعلَكَ من أهلِهِ- أنَّ أحَقَّ العُلُومِ بالتَّعَلُّمِ، وأولاهَا بالتَّحَفُّظِ-بعدَ المعرفةِ باللهِ-جَلَّ ثناؤُهُ- عِلمِ البلاغة، ومعرفةُ الفصاحَة، الذي بِهِ يُعرَفُ إعجازُ كتابِ اللهِ-تعالى-، النَّاطِقِ بالحقِّ، الهادي إلى سبيلِ الرُّشدِ، المدلولِ به على صِدقِ الرسالةِ وصِحَّةِ النُّبوةِ، التي رفعتْ أعلامَ الحقِّ، وأقامتْ منارَ الدِّين، وأزالتْ شُبَهَ الكفرِ ببراهينها، وهتكتْ حُجُبَ الشَّكِّ بيقينِها، وقد عَلِمْنا أنَّ الإنسانَ إذا أغفلَ عِلْمَ البلاغةِ، وأخَلَّ بمعرفةِ الفصاحةِ، لم يقعْ عِلْمُهُ بإعجازِ القُرآنِ مِن جِهَةِ ما خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِن حُسنِ التَّأليفِ، وبراعَةِ التَّركِيبِ، ومَا شحنَهُ بِهِ مِنِ الإيجازِ البديعِ، والاختصارِ اللطيفِ، وضَمَّنَهُ مِنَ الحلاوةِ، وجلَّلَهُ من رَونَقِ الطَّلاوةِ، مع سهولةِ كَلِمِهِ وجزالَتِها، وعذوبتِها وسلاستِها... إلى غيرِ ذلكَ مِن محاسِنِهِ التي عَجَزَ الخلقُ عنها، وتَحَيَّرتْ عقُولُهُم فيها.

وبناءً على ذلكَ فقد ألَحَّ عليَّ طُلَّابُ المرحلةِ الرابعةِ في كلية الشريعةِ/جامعةِ تكريت عام(١٤٣١هـ/٢٠١٠م)؛ للقيامِ باختصار عُلوم البلاغة: (المعاني والبيان والبديع)، وتبويبها بما يُناسبُ اختصاصهم، وكُنتُ مُتردِّداً في ذلكَ كثيراً، فلمَّا رأيتُ مِنهُم حَثًّا على التَّرَقِّي والاستطرادِ في هذا العِلمِ، عجزتُ عن حُسنِ التَّخَلُّصِ ممَّا طلبُوهُ، وصِرتُ في هذا الأمرِ بينَ تَردِيدٍ وتغليبٍ في القِيامِ بهذا الأمر وبَذلِ الوُسعِ فيه، وبينَ خائفٍ مِن التَّقصيرِ، أُقَدِّمُ رِجلاً وأُؤَخِّرُ أُخرى، إلى أنْ ظَهَرَ لي حُسْنُ التَّوجِيهِ مِن أُستاذي الفاضل الدُّكتور(**أحمد حمد مُحسن الجبوري**)[(١)]،

(١) أُستاذُ البلاغةِ الأول في جامعة تكريت، كلية التربية، قسم اللغة العربية، له مؤلَّفاتٌ وبحوثٌ في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، وتخرَّجَ على يديه عددٌ كبير من طلاب العلم، ومنهم المؤلِّف.

للدُّخُولِ في هذا الأمرِ، مُعتمداً بذلك على مُحاضراتِهِ القيِّمةِ التي أملاها عليَّ وعلى طُلَّابِ العلمِ في قسمِ اللغةِ العربية، وعلى ما توصَّلتُ إليه في أُطروحتي للدكتوراه[(١)]، فَقَدَّمْتُ لهم مُلخَّصاً لطيفاً، ثم رأيتُ بعد ذلك أن أتوسع في بعض المواطن، وأزيد على بعضٍ؛ ليكون ذلك المختصر كتاباً تحت عنوان:

قُطُوفٌ دانيةٌ في عُلوم البلاغة (المعاني-البيان-البديع)

بنيَّةِ التَّعلُّمِ والمُذاكَرةِ والإفادَةِ لنفْسِي قبل كُلِّ شيءٍ، فما أفادني إيَّاهُ الكريمُ المَنَّانُ سيعودُ-بلا شكٍّ- على الطُّلَّابِ والإخوانِ، وأكُونُ قد أحييتُ في داخلي ووجداني عِلماً هو أشرفُ أنواعِ الأدبِ قَدْراً، وأعلاها مكانةً وخطراً؛ لأنَّهُ عِلمٌ يُعنى باستخراج أسرار البلاغة من معادِنِها، والكشفِ عن محاسنِ النُّكتِ المودَّعَةِ في مكامِنِها، فهو مُنتقِدُ قوى البصائرِ، ومِسْبَارُ غَوْرِ الفهمِ والخاطرِ، ومضمارُ ما يقعُ به التفاضلُ، وينعقِدُ بين الأماثلِ في شأنِهِ التَّسابُقُ والتَّناضُلُ...

ولا أدَّعي أنَّني بلغتُ في هذا الاختصار الكمالَ والاستيعابَ الشَّامل؛ فالكمالُ للهِ-تعالى-وحدَهُ، وإنَّما هي محاولةٌ أرجو من اللهِ-تعالى- أنْ يجعلَها خالصةً لوجهِهِ الكَريم، مقبُولَةً عندَهُ يومَ الدِّين، وآملُ أن يكونَ التَّوفيقُ قد حالفَ جُهديَ المتواضع هذا، وأكُون قد أسهمتُ-ولو بجُهدِ المُقِلِّ- في الكشف عن بعض الجوانبِ المُشرقةِ في بيان بعضِ أسرارِ القُرآنِ الكريمِ وإعجازِهِ الباهرِ، فتلكَ أغلى أُمنياتي، وذلكَ هو غَرَضِي، فإنْ كُنتُ قد أصبتُ فذلك فضلُ اللهِ عليّ، وإن كانتِ الأُخرَى فإنَّما هي من نفسي، وأستغفرُ اللهَ-تعالى-.

ورجائي من كلِّ ناظرٍ يطَّلعُ على عيبٍ في هذا العمل أنْ يَدُلَّني عليه، ويَرشُدَني إليه، فإنَّ الدِّينَ النَّصيحة، والمسلمونَ بخيرٍ ما تعاونوا، وما نجحَ سلفُنا الصَّالحُ- وكانوا خيرَ أُمَّةٍ أُخرجتْ للنَّاس- إلَّا بهذهِ الفضيلةِ، وَأَستَغفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ عَمَّا شَذَّ بِهِ القَلَمُ، أَو زَلَّ بِهِ الفِكرُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَسلَمُ مِنَ الوُقُوعِ فِي الخطأ أَحَدٌ، وَلَا سِيما طُلَّابُ العلمِ من أمثالي، فَلَيسَ الفَاضِلُ مَنْ لَا يُخطِئُ بَل الفَاضِلُ مَنْ تُعَدُّ أخطاؤُه، وَأَسأَلُ اللَّهَ-تعالى- لي وللقارئ حُسْنَ العَاقِبَةِ فِي الدُّنيا وَالآخِرَة، وَأَنْ يَنفَعَ بِهِ طَالِبَهُ وَالنَّاظِرَ فِيه، وَأَنْ يُعَامِلَنَا بِمَا هُوَ أَهلُه.

والحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسُولِهِ الصَّادِقِ الأمينِ، وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمعينَ، إلى يومِ الدِّين.

(١) الموسومة بـ(صديق حسن خان القِنَّوْجِي **بلاغياً** في تفسيره: فتح البيان في مقاصِدِ القرآن).

الأستاذ المساعد الدكتور
فلاح حسن مُحَمَّد الجُبوري
جامعةُ تكريت- كُلِّيَّةُ العلوم الإسلامية- قسمُ أُصول الدين
١٠/رمضان/١٤٣٤هـ

التـمـهـيـد
الفصاحة والبلاغة

أولاً-الفصاحة:

الفصاحةُ: هي الظُّهورُ والبيانُ، تقولُ: أفصَحَ الصُّبحُ إذا ظَهَرَ.

والكلامُ الفصيحُ: (**ما كان واضحَ المعنى، سهلَ اللفظ، جيدَ السبك، ولهذا وجب أن تكونَ كلُّ كلمةٍ فيه جاريةً على القياس الصرفي، بيِّنةً في معناها، مفهومةً عذبة سلسة**).

شروط فصاحة الكلام:

١- **خُلُوصهُ من ضعف التأليف**: أي مخالفة القواعد النحوية، كما في قولنا: (**ضَرَبَ غُلامُهُ زيداً**)، فإنَّ رجوع الضمير في (**غُلامُهُ**)إلى المفعول المتأخر لفظاً (**زيداً**)، ممتنعٌ عند الجمهور؛ لئلا يلزم رجوعهُ إلى ما هو متأخِّر لفظاً ورتبةً.

٢- **خُلُوصهُ من تنافر الكلمات**: أي ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها متتابعةً، كما في قول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفر   وليس قُربَ قبرِ حربٍ قبرُ

فالتنافر حاصلٌ في الشطر الثاني من البيت، ولا يخفى ثقلها على اللسان عند نطقها مجتمعةً، ولعل الشاعر أراد بيان حال وعورة مكان قبر أخيه، وصعوبة الوصول إليه، فدلَّ بذلك على ذلك.

٣- **خُلُوصهُ من التعقيد اللفظي**: أي أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد بسبب تأخر الكلمات أو تقديمها عن مواطنها الأصلية، أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاوزَ ويتصل بعضها ببعض، فإذا قلتَ: (**ما قَرَأَ إلا واحِداً مُحمَّدٌ مَعَ كِتاباً أخيهِ**)، كان هذا الكلام غير فصيح لضعف تأليفه؛ إذ أصله: (**ما قَرَأَ مُحمَّدٌ مَعَ أخيهِ إلا كِتاباً واحِداً**)، فَقُدِّمتِ الصفةُ على الموصوف، وفصل بين المُتلازمين، وهما أداة الاستثناء والمُستثنى، والمُضاف والمُضاف إليه.

٤- **خُلُوصهُ من التعقيد المعنوي**: أي أن يعمدَ المتكلمُ إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلماتٍ في غير معانيها الحقيقية، فيسيء اختيارَ الكلمات للمعنى الذي يُريده، فيضطرب التعبير

ويلتبس الأمر على السامع، مثال ذلك أنَّ كلمة(**اللسان**) تُطلق أحياناً ويُراد بها اللغة، قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ [إبراهيم:٤]، أي ناطقاً بلغة قومه، وهذا استعمالٌ صحيحٌ فصيحٌ، فإذا استَعْمَلَ إنسانٌ هذه الكلمة في الجاسوس، وقال: (**بثَّ الحاكمُ أَلْسِنَتَهُ في المدينةِ**) كان مُخطِئاً، وكان في كلامِهِ تعقيدٌ معنويٌّ؛ لأنَّ الفصيحَ من ذلك استعمالُ كلمة (**أَعْيُنَهُ**) بدلاً من (**أَلْسِنَتَهُ**)، والمعنى في ذلك أوضح من أن يُشرح.

ثانياً- البلاغة:

البلاغة في **اللغة**: هي الوصولُ والانتهاءُ، تقول: بلغتُ مكاني، أي: وصلتُ إليه وانتهيتُ عنده.

وفي **الاصطلاح**: (**هي تأديةُ المعنى الجليل واضحاً بعبارةٍ صحيحةٍ فصيحةٍ لها في النفسِ أثرٌ خلَّاب، مع مُلاءمة كل كلامٍ للموطِن الذي يُقالُ فيهِ، والأشخاص الذين يُخاطَبُون**).

وللبلاغة **وظيفتان**: **الأولى**: الإقناعُ والإمتاعُ، وستتوضح هذه الوظيفة عندما ندرس عناصر البلاغة، والوظيفة **الثانية**: إرشادنا إلى كيفية القول، وقد قالوا: البلاغة هي: كيف نكتب؟ وماذا نكتب؟ كيف نقول؟ وماذا نقول؟ فالجواب عن (كيف...؟) يقتضي ممارسة فنون البلاغة وتعلمها، والجواب عن(ماذا...؟) يقتضي معالجة فنون القول، ومطابقة ذلك القول الفني لمقتضى حال السامع أو القارئ.

الهدف من دراسة البلاغة:

ينقسم الهدف من دراسة البلاغة إلى قسمين:

أ. هدفٌ خاص، وهو معرفة أو إدراك إعجاز القرآن الكريم.

ب. هدفٌ عام؛ وينقسم إلى قسمين:

١. الموازنة بين أنواع الكلام، ليتميّز الغثّ من السمين، والخبيث من الطيب، والرديء من الجيّد.

٢. تعليم من استعجم ذهنُهُ ومرض ذوقُهُ طريق البلاغة، وذلك بإرشاده إلى قواعد-وسائل- توصله إلى أمثل الطرق في معرفة الكلام البليغ من غيره.

عناصر البلاغة، أو (عناصر الكلام البليغ):

للكلام البليغ عناصرُ، أي: مكونات أو مقومات، إذا نَقَصَ أحدها لم تتوفّر لذلك الكلام صفة البلاغة، وهذه العناصر يمكن إيجازها بما يأتي:

١. **الفكرة**: وهي ما تعانيه النفس، وما يجري في الخاطر، وما يصطرع في الذهن من قضايا ليس لها أصوات، ولا تُعَدُّ من الكائنات إلا إذا اتحدت بغيرها، على أن تكون هذه الفكرة معبرة نيّرة.

٢. **الألفاظ**: وهي المفردات التي ستكون قوالبَ للفكرة، على أن تكون هذه المفردات متميزةً بالصحة والوضوح.

٣. **المعاني**: هي أمور عقلية لا تظهر إلا إذا اكتست بالألفاظ، فهي بمثابة الروح للجسم، والفرق بين المعاني والفكرة؛ أنّ الفكرة صفة عامّة غير محددة، والمعاني صفة خاصّة تتطلب حين تدفقها الألفاظ المناسبة.

٤. **العاطفة**: هي الانفعال الذي يجعل النفس تميل إلى المعنى المُعبَّر عنه أو تنفر منه.

٥. **الأسلوب**: هو طريقة الكاتب أو الشاعر في إيجاد الأفكار، وتوليد المعاني، وإبراز الصور بحيث يكون كثير القرب للسامع.

٦. **الخيال**: هو الرابط بين هاتيك العناصر جميعها؛ إذ به يتم العمل الأدبيّ الناجح، وذلك بما للخيال من قدرة للتحايل على اللغة باستعماله الوسائط البيانية كالتشبيه وأقسامه، والاستعارة وأنواعها، والكناية وألوانها، وأنواع المجاز الأخرى التي سنقف عليها-إن شاء اللهُ تعالى- ضمن مفردات علم البيان.

أقسامُ علوم البلاغة:

بَقِيَتْ موضوعاتُ البلاغة مبثوثة وموزَّعة عند المتقدمين في المصنفات الأدبية والنقدية، والتفسيرية، واللغوية والنحوية، حتى نضجت بفضل جهود العلماء المتوالية، وأصبحت مصطلحات واضحة ومتداولة عندهم، ثم جاء دور المتأخرين فجمعوها في كتبٍ مُستقلةٍ، وأوّل من جمعها **السَّكّاكي**(ت٦٢٦هـ)؛ إذ هضم زبدة جهود العلماء السابقين، وجعلها في القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) في بابين هما: (**علم المعاني، وعلم البيان**) إذ لم يعد (**علم البديع**) واحداً منها، بل عدّه محسنات لفظية ومعنوية، فجعله ذيلاً لعلمي المعاني والبيان، ثم جاء **القزويني**(ت٧٣٩هـ)، فجعل علوم البلاغة ثلاثة بإضافته علم البديع إليها، فكان القزويني آخر من تميّزت لديه هذه الأقسام الثلاثة، ولم يخرج العلماء الذين جاءوا بعده عن هذا التقسيم، وهاك تلك الأقسام:

١. ما يُحترَزُ به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، سمّاه (**علم المعاني**).
٢. ما يُحترَزُ به عن التعقيد المعنوي، سمّاه: (**علم البيان**).
٣. ما يُعرَفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته، سمّاه: (**علم البديع**).

إذاً فالبلاغة عنده ثلاثة أقسام، هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

أما **علم المعاني**، فقد انحصر عنده في ثمانية أبواب: أوّلُها: أحوال الإسناد الخبري، وثانيها: أحوال المسند إليه، وثالثها: أحوال المسند، ورابعها: أحوال متعلقات الفعل، وخامسها: القصر، وسادسها: الإنشاء، وسابعها: الفصل والوصل، وثامنُها: الإيجاز والإطناب والمساواة.

وأما **علم البيان**، فقد انحصر عنده في ثلاثة أبواب أوّلها: (**التشبيه**: أركانه وأنواعه)، وثانيها: (**المجاز** وأقسامُهُ)، وثالثها: (**الكناية والتعريض**).

وأما **علم البديع**، فقد انحصر في بابين هما:

أ- **المحسنات المعنوية**: وهي أنواع كثيرة، نذكر منها: (الالتفات، والطباق، واللف والنشر، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ونقيضه، وتشابه الأطراف، والأُسلوب الحكيم، والتورية).

ب- **المحسنات اللفظية**: وهي أنواع كثيرة أيضاً، نذكر منها: (الجناس، وتوافق الفواصل، والقلب، وحُسْن التخلُّص، وحُسْن الابتداء والانتهاء).

البابُ الأوَّل: علمُ المَعَانِي

المعاني- **لغةً**: جمعُ معنى، ومعناه: المُرادُ والمقصود.

واصطلاحاً: (هو علمٌ يُعرَفُ به أداءُ الكلامِ حتى يكونَ مُطابقاً لمقتضى الحال، معصُوماً عن الوقوع في معنى خاطئٍ لا يُريدُه المُتكلِّم، أي: هو تحقيقُ مقولة: لكلِّ مقامٍ مقالٌ، أو هو الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد).

يُعَدُّ عبدُ القاهر الجُرجاني(ت٤٧١هـ) أوّل من أصَّلَ علمَ المعاني تحت ما يُسمَّى بـ(نظرية النظم) في كتابه الفذ(دلائل الإعجاز)؛ ليُبرهِنَ على أنَّ إعجازَ القرآن كان في صياغته للمعاني بالطريقة المثلى، والدرجة الفضلى، التي تخضع وتتوخَّى معانيَ النحو، والعربُ-لبشريتهم- لن يبلغوا- إن أرادوا معارضةَ القرآن الكريم- بعضَ الكمال الذي هو عليه، ونظراً لتلك الأهمية سنقف-إن شاء اللهُ تعالى- على أبواب وموضوعات علم المعاني الغنية بالدرر البهية، والتحف السَّنِيَّة.

أبواب علم المعاني:

تنحصر موضوعات هذا العلم في ثمانية أبواب رئيسة، غيرها-عند التحقيق- فروعٌ لها، وهي: (أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل، والقصر، والإنشاء، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة).